"الشراكة والتنمية الحضرية المستدامة للبيئات التراثية بين الواقع والطموح: رؤية مستقبلية لمنطقة القاهرة القبطية"

د. أحمد يحيي جمال الدين راشد
أستاذ مساعد بقسم العمارة – كلية الهندسة
جامعة الإمارات العربية المتحدة

د. مني حسن سليمان
مدرس بقسم العمارة – كلية الهندسة بالفيوم
جامعة القاهرة

ملخص البحث

تعتبر البيئات التراثية في القاهرة القديمة مجالا للعديد من المشروعات الفعلية والدراسات والبحوث والمؤتمرات المختلفة لما تحتويه من تراث حضاري عالمي، متمثلاً فى مباني وثقافات متنوعة وأحداث وسكان وفنون شعبية وحرف تقليدية، قد لا تتوفر بطبقاتها المتميزة في بيئة أخري في العالم. وتتعدد المناطق المستهدفة للحفاظ والارتقاء وتنمية البيئات المختلفة بالقاهرة القديمة، وفي الوقت نفسه تزداد وتتزايد التعقيدات والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسكانية والبيئة لهذه المناطق. ورغم محاولات الدولة بأجهزتها المختلفة ووجود كثير من الهيئات الدولية والوطنية المعنية بدراسة البيئة التراثية والتنمية السياحية في القاهرة إلا انه لا تزال المتطلبات البحثية للتنمية الحضرية واستدامة هذه البيئات في المستقبل في حاجة إلي الدراسة والتمعن نظرا لحساسية القرارات الخاصة بهذه البيئات والتي لا تحتمل في رؤيتها المستقبلية أسلوب التجربة والخطأ الذي قد يكون متبعا في العديد من المشروعات الفعلية.

وحتى يمكن أن يتوافق مساري الطموح والواقع لهذه البيئات التراثية فأن الشراكة كمبدأ والتنمية الحضرية كهدف هما حجري الأساس للورقة البحثية، مع عمل دراسات مكثفة ومتعددة تلتزم بالحيادية بين الأطراف المشاركة وبين الأهداف المفترضة، وتحديد واضح للفرق بين الغاية والوسيلة. فتنمية البيئات التراثية سياحيا قد يكون غاية ولكن يجب ألا تكون الوسيلة علي حساب سكان هذه البيئات ومتطلباتهم المكانية والمعيشية. وتدرس الورقة البحثية هذه الإشكالية مع القيام ببحث ميداني لمنطقة القاهرة القبطية والتي تعتبر من البيئات المتميزة تاريخيا ومعماريا وثقافيا وعقائديا بالقاهرة القديمة وذلك بهدف ضمان الواقعية في توظيف الشراكة بين الأطراف وتنميتها الحضرية المستدامة من منظور الحفاظ في رؤية مستقبلها، في مقابل طموح تهيئتها وتنميتها السياحية.

ويهدف البحث إلى دراسة كيفية التنمية الحضرية المستديمة لبيئة القاهرة القبطية التراثية في مستقبل النسيج العمراني لمدينة القاهرة القديمة، ليس فقط لتحقيق أهداف التنمية السياحية ولكن بهدف الارتقاء بحالة شاغليها الاقتصادية والاجتماعية وبما يضمن شراكة الأطراف في إعادة تأهيل هذه البيئات التراثية بها كمدخل للحفاظ عليها ووضعها في الإطار الثقافي والعمراني اللائق بها.

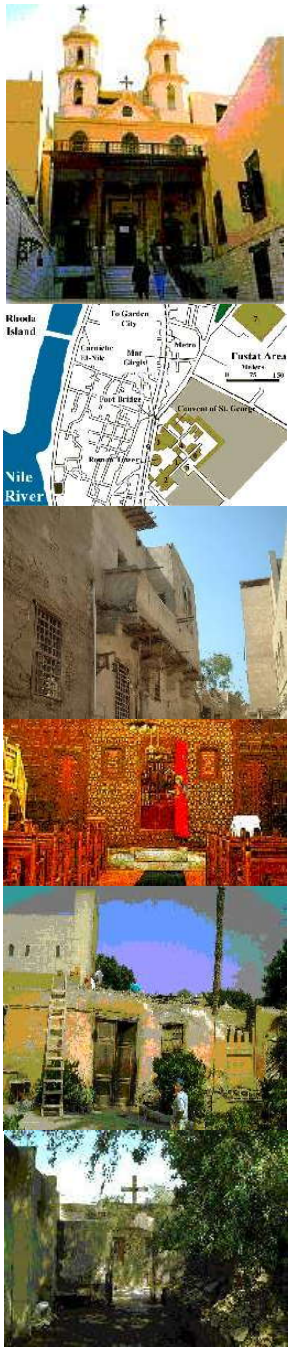

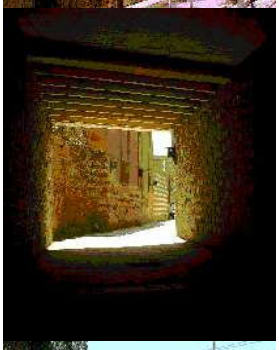

الكلمات الدالة

الشراكة، التنمية الحضرية المستدامة، البيئات التراثية، منطقة القاهرة القبطية

١- مقدمة البحث

ترتكز الدراسة البحثية على العديد من العناصر والفرضيات الرئيسية، كما ترتكز على ثلاثة منهجيات متكاملة ومتداخلة تشتمل على المنهج النظرى، والمنهج النقدى، والمنهج التطبيقى.

١-١ عناصر البحث

ترتكز الدراسة البحثية على العديد من العناصر، فهى ترتكز على:- الاتجاهات الرئيسية لفلسفات التنمية الحضرية المستدامة وفكر الحفاظ وإعادة التوظيف والسياحة؛- فكر خبراء اليونسكو بتنمية البيئات التراثية من خلال سكانها الأصليين، مقابل توجه الخبراء بمصر من خلخلة المناطق التراثية من السكان والحرف الأصيلة المتوارثة؛ - الشراكة كمبدأ والتنمية الحضرية كهدف لمستقبل البيئات التراثية؛ - دراسة تطبيقية على منطقة القاهرة القبطية كبيئة تراثية متميزة من خلال دراسة تاريخية للمنطقة، دراسة المشكلات الحالية، دراسة إعادة التأهيل والتوظيف السياحي لمنطقة القاهرة القبطية من خلال البحث الميداني وتقييم للمجهودات التي تم القيام بها.

١-٢ الفرضيات الرئيسية للبحث

- القاهرة القديمة تحتوى على مجتمعات متفاعلة ومتعايشة بها من مئات السنين، وأي تغيير غير مدروس لهذه البيئات ستعنى ضرر كبير للتراث والسكان وفقد كثير من المعاني والقيم التي لا توجد في مكان أخر إلا في البيئات الأصلية؛
- أسباب استدامة البيئة التراثية من الماضي إلي وقتنا الحالي،هي المدخل الواقعي للبحث في التنمية الحضرية المستقبلية المستديمة لهذه البيئات؛
- الوظيفة الدينية من جهة وسكن الناس بالمنطقة وعملهم في خدمة المكان والحرف اليدوية البسيطة، المرتبطة بالزيارات الدينية (السياحة الدينية)، هي أساس هذه الاستدامة؛
- الصبغة الدينية للمنطقة لا تعني عدم تعدد أقطاب وبرامج الزيارات بها وتكاملها مع المناطق المحيطة ويتطلب ذلك وجود الإدارة المتكاملة؛ - القيمة السياحية (وهنا السياحة الدينية) وليست الرغبة للعودة للماضي أو الحفاظ هي المحرك الرئيسي لمعظم المشروعات المقامة؛- شراكة سكان هذه المنطقة مع الأفكار والمجهودات المبذولة هي الضمان من خلال الحوارات والدراسات لحدوث الاستدامة المستهدفة للتنمية.

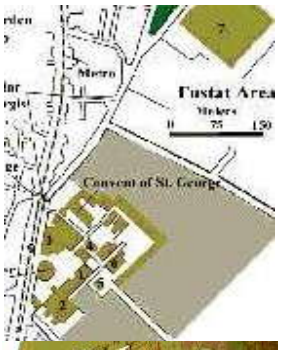

٣-١ منهجية الورقة البحثية

المنهج النظري: دراسة الحفاظ على التراث الديني الثقافي لمنطقة القاهرة القبطية، وذلك بدراسة فلسفة الحفاظ على عناصر الوحدة التكونية للمبانى القديمة وصولاً للحفاظ على النسيج العمراني والبيئة التاريخية االدينية بأكملها.

المنهج النقدي: دراسة الشراكة والتنمية الحضرية لإحياء منطقة القاهرة القبطية، وذلك من خلال تعزيز ارتباط السكان بها، وإعادة استخدام المباني المهدمة والمهجورة، وتأهيل البنية الاساسية، وربط المنطقة بباقي أجزاء القاهرة القديمة.

المنهج التطبيقي: ويشمل المنهج أربع مجموعات من الاستبيانات قام بها فريق العمل، وذلك في نهايات عام ٢٠٠٢، وتركز علي مجموعة من التساؤلات الاتية:- هل تملك منطقة القاهرة القبطية مقومات سياحية تؤهلها للتنمية الحضرية المستدامة علي المستوي المحلي والدولي؟- وكيف يمكن تأكيد مكانة المنطقة الدينية ومقوماتها السياحية المكنونة ؟- كيف يمكن لصناعة السياحة أن تخدم أهداف التنمية الحضرية المستدامة واقتصاد المنطقة والسكان.- كيف يمكن أن ينعكس ذلك على مستوى الخدمات العامة والنقل والإقامة والمكاتب السياحية ؟

٢- الاتجاهات الرئيسية لفلسفات الحفاظ والتنمية الحضرية

خلال الثلاثين عاما القادمة سوف يزداد التعداد السكاني للمناطق الحضرية في معظم انحاء العالم النامي إلي ثلاثة أضعاف العدد الحالي، الأمر الذي سيؤدي إلي زيادة التكدس والازدحام في بعض المدن التاريخية التي تحوي تراثا معماريا عميقا، مما يتطلب ضرورة الحفاظ علي التراث الثقافي للبيئات الأثرية، من خلال فكر واع يتفاعل مع قضايا النمو العمراني المتزايد، وادراك عال لقيمة البيئات التراثية وأهميتها الثقافية والاقتصادية ، وضرورة ايجاد حلول غير تقليدية لسلسلة المشكلات المتوارثة والمستقبلية. إلي جانب تطوير القواعد الاقتصادية للمدن القديمة وتلبية التوقعات المشروعة لمواطنيها وتحويل تطلعاتهم إلي واقع ملموس، وكل ذلك من أجل ابقاء البيئات التاريخية علي قيد الحياة.

وتوجد بعض التجارب التي تم فيها تطبيق نظم وأساليب تقييم اقتصادي، من خلال منظور إجتماعي وشراكة مجتمعية، وتم فيها تحقيق قدر من النجاح.

- **الأول:** احياء منطقة حفصية بتونس، وحاز المشروع علي جائزة الآغاخان وفيها تم احياء القاعدة الاقتصادية والاجتماعية لسكان المدينة القديمة، والتركيز علي تطوير المباني السكنية والمدرستين إلي جانب اقامة سوق مغطي يربط بين شطري المدينة القديمة، واستطاع المشروع عمل شراكة بين القطاعين العام والخاص وهما بلدية مدينة تونس بالاشتراك مع مؤسسة حماية المدينة وهيئة الترميم والتطوير الحضري (إسماعيل سراج الدين، ٢٠٠٣).

– أما المشروع **الثاني:** فهو تطوير منطقة فاس بالمغرب وشمل ذلك تطـوير البنيـة التحتية للمدينة القديمة، إضافة إلي توفير طرق أسهل للوصول إلي بعض الاماكن في المنطقة وانشاء شبكة من الطرق للطواريء. ولا يعني تطوير البيئات التاريخية بأي حال من الاحوال المساس بحقوق الفقراء من ساكنيها، كما لابد من تـوافر عناصـر بعينها لهذا التطوير (إسماعيل سراج الدين، ٢٠٠٣).

٣– السياحة وأنماط السياحة المستدامة بمصر (الدينية)

ان السياحة من منظور إجتماعي وثقافي هي حركـة ديناميكيـة تـرتبط بالجوانـب الاجتماعية والسلوكية والحضارية للانسان، بمعنى انها رسـالة حضـارية وجسـر للتواصل بين الثقافات والمعارف الانسانية للشعوب، ناجمة عن تطـور المجتمعـات وارتفاع المستوى المعيشي للفرد (Gabra, G., 1993) . ورغم تمتع مصـر بكـل المقومات السياحية فانها للأسف لا تحظي سوي بنسبة محدودة جـدا مـن السـياحة العالمية لم يتجاوز نصيبها (٠.٥٧%) سواء من جملة حركة السياحة الدولية أو مـن جملة الايرادات السياحية في العالم. ويتطلب ذلك الامر التفكير في أنمـاط سـياحية جديدة منافسة (Ryan, C., Page, S., 2000).

يجب أن تكون هذه الانماط مميزة وغير قابلة للمنافسة، كما انها تحتاج دعاية مكلفة، مثل سياحة التسوق، وسياحة المعارض والمؤتمرات وسـياحة السـفاري وسـياحة الألعاب الرياضية ونجد أن السياحة الدينية يمكن أن تميز مصر وتنفرد فيها بمزارات وهي الطرق التاريخية القديمة مثل (ابراهيم غانم، ٢٠٠٠) :

– خط سير رحلة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سيناء؛– خط سير رحلة سيدنا لـوط عليه السلام الي سيناء؛– خط سير خروج بني إسرائيل ومنطقة بقائهم في سـيناء٤٠ سنة؛– خط سير العائلة المقدسة التي سارت فيه السيدة مريم العذراء والسيد المسـيح عليه السلام هربا من أورشليم إلي مصر في سيناء والدلتا ومصر الوسطي؛– خـط سير آل بيت رسول الله محمد (صلي الله عليه وسلم) ايام الاضطهاد الأموي؛– خـط سير الإسكندر الأكبر في مصر من شمالها الغربي حتي سيناء ومن مرسي مطـروح إلي سيوة؛– خط سير رمسيس الثاني إلي مرسي مطروح حيث أقام له معبـدا بهـا تحول الآن الي أطلال تم تجميعها في مكان مغلق؛ – خط سير عمرو بـن العـاص وجيشه الفاتح لمصر إسلاميا؛ – خطوط سير العارفين بالله (طرق الحج) مثل السـيد البدوي وابراهيم الدسوقي.

ويتطلب ذلك دعاية وتوفير خرائط هذه الطرق؟ وأين هذه الطرق علي أرض مصر ؟ وأين ومتي الترويج السياحي لها داخليا وخارجيا ؟ وتهيئـة البيئـة الدينيـة لتقبـل سائحيها.

٤– فكر خبراء اليونسكو لتنمية البيئات التاريخية حضريا مـن خـلال

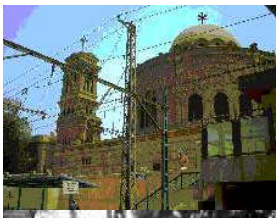

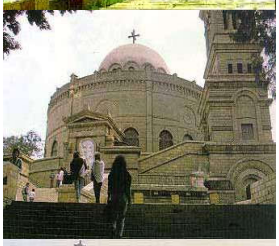
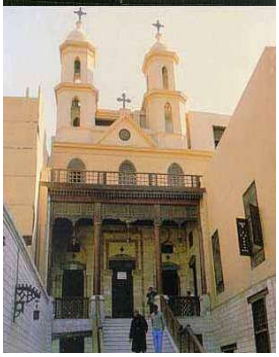

سكانها الأصليين، مقابل توجه الخبراء بمصر

تهدف خطط عمل "اليونسكو" الى تحقيق تنمية حضرية مستدامة في البيئات التاريخية وذلك من خلال تحديد الحاجات الاكثر الحاحاً في دراسات الحفاظ متزامناً مع خطة من اجل تحسين المستوى المعيشي للمواطنين فيها، بهدف انعاش الحرف والفنون اليدوية فيها. أما بشأن القاهرة التاريخية فقد اجتمع خبراء اليونسكوعام (١٩٨٠) مع الخبراء المصريون لدراسة مستقبلها، وانتهت المناقشات الي عدد من التوصيات التى لم تنفذ (عبد الباقى إبراهيم، ١٩٩٨).

وفي عام ١٩٨٣ قام البنك الدولي بدراسات في سبيل انقاذ تراث القاهرة العالمي بالاتفاق مع محافظة القاهرة واعداد دراسة ارشادية لتكون اساسا عمليا وعلميا لاسلوب الارتقاء بالقاهرة التاريخية. وانتهت الدراسة الي ضرورة قيام هيئة قومية لتطوير القاهرة التاريخية كأساس للشراكة بحيث تنقل الي الهيئة المقترحة اختصاصات الوزارات والهيئات باعتبارها وحدة ادارية مستقلة فنيا وماليا وتكون الجهة الوحيدة المنوط العمال بها للارتقاء بالمنطقة. ولم يتم تنفيذ التوصية ثم صدر قرار بانشاء لجنة في مجلس الوزراء تضم وزراء الاسكان والثقافة والاوقاف للقيام بمهمة تطوير القاهرة التاريخية، إلا أن اللجنة قامت بمجهودات محدودة بسبب محدودية الامكانيات والخبرات الي ان كانت قمة انجازاتها ترميم الجامع الازهر (عبد الباقى إبراهيم، ١٩٩٨).

ثم صدرقرار آخر لرئيس مجلس الوزراء ينص علي تشكيل لجنة للاشراف علي تنفيذ مشروع القاهرة التاريخية برئاسة محافظ القاهرة وعضوية رؤساء القطاعات الذين يرشحهم وزراء التخطيط والتعاون الدولي والثقافة والداخلية والدولة للتنمية الادارية والدولة لشئون البيئة. وقد وصل اعضاء اللجنة الي مايقرب من ثلاثين عضوا كل له ادارته الخاصة ونص القرار علي ان لهذه اللجنة ان تستعين بمن تري الاستعانة به من ذوي الخبرة والمتخصصين في المجالات الهندسية والمعمارية والفنية والاثرية والتاريخية، كل ذلك دون تحديد لجهاز واحد قائم علي وضع البرامج الزمنية والآليات التنفيذية والموازنات الاستثمارية، في عملية واحدة متكاملة المراحل (عبد الباقى إبراهيم، ١٩٩٨).

وفي كل هذه الخطوات لا يكون للسكان والأهالي دورا واضحا للمشاركة أو الشراكة، وتكون معظم توصيات الدراسات والمشروعات كهدف أول لمسئوليها نقل وتفريغ البيئات التاريخية للقاهرة من السكان والحرف والورش وتحويل القاهرة إلي متحف مفتوح بما يخالف لتوصيات واتجاه اليونسكو في التعامل مع تلك البيئات. وهكذا تدور القاهرة التاريخية في دوامة اللجان وتبقي اليات التنفيذ مفتقده لعملية التنمية الحضرية للقاهرة التاريخية (عبد الباقى إبراهيم، ١٩٩٨).

٥- الشراكة كمبدأ والتنمية الحضرية كهدف لمستقبل البيئات التراثية

ركزت التنمية الحضرية خلال الخمسينات على قضايا الارتقاء بالمجتمع واعتبرته في الستينات العنصر المتبقي للتنمية (برنامج الامم المتحدة الانمائية، ١٩٨٠). أما في السبعينات فقد تم التركيز على تخفيف حالة الفقر وتوفير الحاجات الاساسية ثم شهدت الثمانينات تجاهلاً لهذا الجانب، وفي التسعينات تم التركيز على مفهوم المشاركة الشعبية، وتم تعريفها بكونها تنمية المجتمع من أجل المجتمع بواسطة المجتمع (برنامج الامم المتحدة الانمائية، ١٩٩٣). والتنمية من أجل المجتمع تعني كفالة توزيع النمو الاقتصادي على نطاق واسع وعادل بينما تهدف التنمية بواسطة المجتمع إلى إعطاء كل فرد فرصة المشاركة فيها. والتركيز على المشاركة الشعبية يبرز دور المنظمات غير الحكومية كطرف أساسي في مسيرة التنمية (برنامج الامم المتحدة الانمائية، ١٩٩٣).

٥-١ مفهوم الشراكة:

تبعاً لمفهوم الشراكة يجري التفاهم بين أطراف مختلفة على العمل بصورة مشتركة بغية إنجاز مهمة معينة، ذلك عبر جمع ودمج الخبرات والتخصصات اللازمة والمتوافرة لمعالجة مشكلة ما. ولتحقيق ذلك تركز أطر الشراكة على النتائج، في حين تستخدم الموارد والصلاحيات في شكل تعاون متكامل. ويتم تصميم أطر الشراكة بهدف توزيع الأعمال والمخاطر بين الأطراف المختلفة وذلك حسب القدرات والخبرات المتوافرة (Adsetts, N., 1989) .

وتمثل الشراكة في التنمية الحضرية للبيئات التراثية ركيزة أساسية لأي تطوير وتنمية للمجتمع، حيث يتطلب ذلك ترابط في العلاقات وإتباع مناهج وآليات غير تقليدية. وتسعى برامج الشراكة إلى تنسيق الجهود المبذولة من قبل المسئولين، والمستثمرين، والمجتمعات المحلية، وكذلك إلى دعم جهود القطاع الخاص. وفي الورقة البحثية يتم التركيز علي برامج الشراكة السياحية للتنمية الحضرية المستدامة للبيئات التاريخية، وتشمل وضع سياسات إقليمية ومحلية، وتطبيق قوانين وتشريعات، وتطوير النظم، وإنشاء البِنَية التحتية، والتمويل والاستثمار، ودعم المنشآت الصغيرة والمتوسطة الحجم، وتنسيق جهود التسويق والإعلام، وتطوير المنتجات السياحية، والتعليم، والصحة والبيئة، والأمن، والثقافة والتراث. وتتطلب الشراكة تطبيق مبادئ الانفتاح والشفافية، ودقة تحديد الأهداف ، وتأسيس القرار على تفاوض ومعلومات دقيقة، الى جانب نشر الوعي بأهميتها ، وتحديد الاحتياجات وحصر الموارد والأنشطة، ثم تصميم المشروع وإدارة برنامج الشراكة بالصورة المثلى التي تكفل تحقق الأهداف.

٥-٢ مفهوم التنمية الحضرية المستدامة:

هي تحقيق توازن لتفاعلات وتغيرات العلاقات المتبادلة وتشمل الانسان بامكانياته وطموحاته وحضارته وعناصر المكان البيئية ودور الانسان في استغلالها اوتنميتها، والتنمية المستدامة تفي بضروريات الحاضر دون الاخلال بالموارد والامكانيات

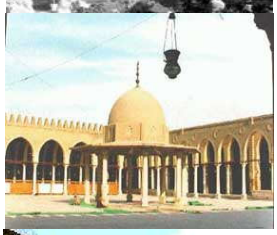

الطبيعية المتوارثة مع مراعاة الرؤية المستقبلية وتحقيق تطلعات الاجيال القادمة. والوصول الى التنمية العمرانية والحضرية المتجانسة يتطلب توظيف التقنيات الحديثة والعلوم المتطورة بما يتلاءم مع المعطيات المحيطة بالمجتمع سواء الطبيعية أوالبيئية اوالبعد الاجتماعي والثقافي اوالاقتصادي. ومن الاستراتيجيات التي اقترحها البنك الدولي لدول منطقة الشرق الوسط وشمال أفريقيا لتحقيق التنمية المستدامة هي تقوية المؤسسات البيئية والمشاركة الشعبية والشراكة عبر بناء القدرات المؤسسية في مجال وضع السياسات البيئية كأولوية قصوى. وكذلك عبر تحسين القدرات الإدارية والفنية وتقوية أجهزة مراقبة وتطبيق معايير النوعية البيئية (البنك الدولى، ١٩٩٨).

ومن هذا الفهم سيكون أسباب استدامة البيئة التراثية من الماضي إلي وقتنا الحالي للحالة الدراسية وهي القاهرة القبطية المدخل الواقعي للبحث في استدامة هذه البيئة التراثية للمستقبل، فإذا كانت الوظيفة الدينية من جهة وسكن الناس بالمنطقة والمهن المرتبطة بخدمة المكان والحرف اليدوية البسيطة، المرتبطة بالسياحة الدينيةهي أساس هذه الاستدامة، فان ذلك سيكون هو الأساس العملي التطبيقي للدراسة.

٦- دراسة تطبيقية على منطقة القاهرة القبطية كبيئة تراثية متميزة: دراسة تاريخية للمنطقة، دراسة المشكلات الحالية (البحث الميداني)

٦-١ وصف منطقة الدراسة:

منطقة مصر القديمة، الفسطاط تعني معاني متعددة ، فهى تحتوي على مسجد عمرو بن العاص أول مسجد بنى في أفريقيا، والمتحف القبطي المستمد من واجهته من مسجد الأقمر، وحصن بابليون الروماني ثم الكنائس والأديرة، والمعبد اليهودي مع المقابر والأضرحة الخاصة بهؤلاء. تفاعل في الحضارات والعلاقات المكانية والزمنية، وحتى وقت قريب كانت المنطقة تتصف بكونها منطقة عشوائية السكني مع تركيز في أعمال الخزف والتي تشارك منطقة محدودة المساحة مما يسبب التلوث البيئي والعمراني. مظاهر الإهمال والتلوث تمثلت في القمامة بالشوارع والممرات، الصرف الصحي، مدمنين ومجرمين. وعلي الرغم من اهتمام الزائرين من المتعبدين من داخل وخارج مصر، فإن التوجه الحكومي كان متأخر. ويعتبر مشروع تطوير المنطقة، الذى تم الحديث عنه منذ (٢٥ عاماً) ويدخل مؤخرا إطار التنفيذ، ضمن البرامج السبعة للقاهرة التاريخية (البنية الاساسية، القاهرة مدينة نظيفة، القاهرة التاريخية، الحفاظ علي النيل، التنمية الحضارية، هندسة المرور، التنمية البشرية) .

وتحتوي منطقة القاهرة القبطية على مجوعة من المباني التاريخية الدينية المتميزة ومنها: **الكنيسة المعلقة** أول كنيسة بنيت في افريقيا وقد كانت معبدا فرعونيا ثم رومانيا وذلك قبل تحويلها إلي كنيسة، وقد شيدت فوق حصن بابليون الذي يضم بقايا أبراج وأسوار كوسيلة دفاع متكاملة، وأما الدرج والفناء وملحقاتهما فمبنيان على البرج الثاني وصالتين أخريين هي جزء من الجناح القديم بالمتحف القبطي، سميت

معلقة لأنها مشيدة فوق حصن بابليون حيث تم وضع أخشاب النخيل من طبقة من الأحجار فوق اسطوانات الحصن لتكون هي أرضية الكنيسة (Otto, F., 1999).

وكنيسه ابي سرجه وهي وسط الحصن الروماني تقريبا، ولقد اكتسبت مكانتها من المغاره التي تقع اسفلها والتي احتمت بها العذراء والمسيح. **والمتحف القبطي** ويرجع تاريخ نشأته إلى عام ١٩٠٨ حيث يجمع بين المادة الأثرية لتاريخ مصر المسيحي، وقد اختير هذا الموقع بسبب وجود ٦ كنائس قديمة ذات أهمية خاصة. **وكنيسة بربارة** التى تأسست فىأواخر القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس، **ومار جرجس** وهذه الكنيسة من أجمل كنائس الحصن الرومانى، شيدت حوالى سنة ٦٨٤، **وقصرية الريحان** تعرف هذه الكنيسة فى التاريخ بإسم كنيسة السيدة العذرء بزقاق بنى حصين، **ودير البنات الراهبات** وهو من المواضع الدينية التى لها أهميتها لدى المسيحيين. كما يوجد **معبد عزرا اليهودي**، مما جعل هذا الموقع له طابع خاص، كما توجد بالمنطقة **مقابر للطوائف الدينية المختلفة** وترتبط ببعضها البعض بممرات وشوارع وسكان ومساكن ومحلات، وعلي مقربة من مسجد عمرو بن العاص، مما يجعلها بيئة تاريخية دينية من حقبات مختلفة متباينة لا يوجد مثلها في العالم (Otto, F., 1999).

٦-٢ الدراسات الميدانية ومشاكل المنطقة التاريخية

عانت منطقة الكنيسة المعلقة لسنوات عديدة من المياه الجوفية. وقد تم عمل زيارات ودراسات ميدانية متعمقة حتي يمكن فيها التعرف علي مشكلات البيئة التاريخية للقاهرة القبطية داخل الحصن والمنطقة المحيطة ومن خلال التوثيق بالصور للمراحل التي مرت بالمنطقة وكذلك الاستبيانات التي تمت علي اربعة مستويات[١]، علي مستوي السكان، والنشاط الاقتصادي، والسياح، والشركات السياحية.

- الاستبيان الخاص بسكان المنطقة:

معظم عينة الاستبيان كانت لرب اسر المنازل المقيمين بمنطقة القاهرة القبطية. فقط ٩ كانوا لأسر داخل السور المحدد لمنطقة الكنيسة المعلقة والمتحف في حين أن ٣٠ من العينة الأخرين يعيشون بالمنطقة المحيطة والتي يشملها مشروعات التطوير.

- بشأن مدة الأقامة بالمنطقة: ٢ من أسر العينة اقامتهم لمدة (أقل من ١٠ سنوات)، ١٠ لمدة (من ١٠-٣٠ سنة)، ١٤ لمدة (٣٠-٥٠ سنة)، ٧ لمدة من (٥٠-٧٠) سنة، ٦ يقيمون بالمنطقة لمدة (تعدت ٧٠ سنة). - بشأن ترك المكان: أعرب فرد واحد فقط عن رغبته بترك المكان لفقر البيئة وسوء تعامل السكان مع بعضهم. - بشأن متطلبات البيئة: رفع مستوي شبكات المياة والكهرباء والصرف الصحي والتليفونات، ومطلوب نظام للغاز الطبيعي اسوة بالمناطق القريبة مثل المعادي. توفر نظام لتجميع

[١] قام الباحث الأول مع فريق عمل (مالينسون اركتيكت) بدراسات ممولة من مركز البحوث الامريكي بمصر عام ١٩٩٨ لوضع مخطط تطوير منطقة القاهرة القبطية، ثم قام الباحثان بعمل دراسة ميدانية في عام ٢٠٠٢ للمنطقة وتم الاستعانة بطلاب المعهد العالي للهندسة بمدينة ٦ أكتوبر ، قسم الحفاظ المعماري في اتمام الدراسات الميدانية

القمامة مع توفير شركة نظافة دائمة. بعضهم طالب بتوفير مدارس حكومية قريبة، وخدمات صحية تناسب امكانيات السكان المحدودة، ورغبة في وجود حديقة عامة ونادي رياضي بجوار مسجد عمرو بن العاص. – بشأن المناطق المحيطة: فالتوصيات تسري علي مناطق قصر الشمع، وكوم غراب ومنطقة السوق.– بشأن السياحة: فهناك رغبة في تواجدها حيث اتها ترفع من مستوي المنطقة ومجالا لزيادة الدخل. – بشان القدرات المادية والمالية للمشاركة في الترميم وتحسين المنطقة: قبل السكان المشاركة بالرأي واتخاذ القرارات فقط بدعوى عدم القدرة المالية.

– الاستبيان الخاص بالدراسات الاقتصادية:

تم أعطاء الاستبيان لهولاء الذين يديرون عمل او يملكون محلات بالقاهرة القبطية وشملت من داخل الحصن والمنطقة والمحلات المستهدف ازالتها وكذلك الملاصقة لمحطة مترو الانفاق. وشملت حوالي ٢٠ استبيان، فقط ١١ منهم يملكون المحلات بالمنطقة. رفض جميعهم تحديد الدخل الشهري.– بشأن تمسكهم بالمكان: بعض العينة يرغب في ترك المنطقة لأن الدخل محدود، والبعض الأخر لأنتقال معظم الاقارب والمعارف من المنطقة، وأغلب المجموعة تمسكت بالمكان وبنوعية المنتج والحرفة المتوارثة.– بشأن مستقبل المنطقة: كانت توصياتهم بضرورة تحسين شارع ماري جرجس، ازالة سوق الخضار، تحسن وضع الورش والمقاهي، أعادة بناء المباني المهدمة من تأثير الزلزال والمياه الجوفية، تحسن شارع قصر الشمع وتوفير محلات بجانب محطة المترو، وضرورة توفير بنك لتبادل العملات، وتوفير اماكن انتظار للسيارات، ووجود سوق تجاري، تحسين حالة سور مترو الانفاق، وكذلك كوبري المشاه. أزالة القمامة من المنطقة، توفير شبكة صرف صحي فعالة. – بشأن السياح والبيئة السياحية: أغلب العينة رحب بتحولها للوظيفة السياحية أضافة للوظيفة الدينية لأرتباط ذلك بزيادة الدخل. – نوعية الخدمات المطلوب توفيرها: دورات المياه العامة مع ضرورة نظافتها، توفير تلفونات عامة، توفير الغاز الطبيعي للمنطقة، معاملات الامان من مطافي ونجدة، وتوفير بنك أو صرافة، مع توفير اماكن لتجميع القمامة ونظام للنظافة الدائمة للمنطقة، توفير المناطق الخضراء، ونظام لأضاءة المكان.

– الاستبيان الخاص بالسياح:

بعض الاستبيانات تمت داخل منطقة الكنيسة المعلقة، وبعضها في كافيتريا المتحف القبطي والباقي في المنطقة المحيطة. اشتملت عينة السياح فرد من كل من (امريكا، جنوب افريقيا، بلجيكا، نيوزلاندا)، ٢من(إيطاليا– بولندا)، ٤ من (انجلترا)، ٩ من (فرنسا)، ١٠ من (مصر). كانت خلاصة توصيات السياح لمجموعة الاسئلة يمكن حصرها فيما يلي: – تأتي منطقة القاهرة القبطية في الدرجة الخامسة لأهم المناطق السياحية بمدينة القاهرة، بعد منطقة الاهرامات، والقلعة، والقاهرة الفاطمية، وسقارة. – أما بالنسبة لمنطقة القاهرة القبطية فأن المظهر الخارجي بحالة جيدة وأن كانت

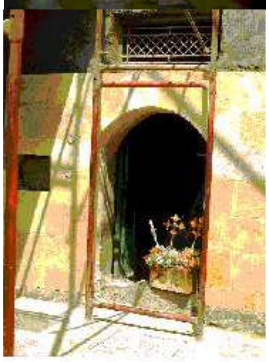

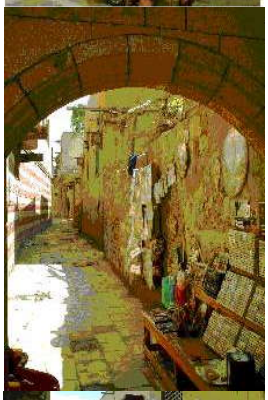

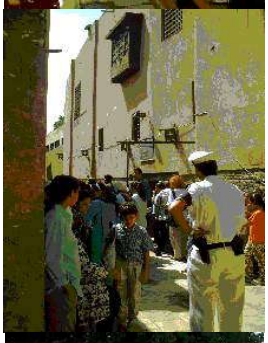

تحتاج بعض الترميم، لابد من زيادة البازارت السياحية مع وضع منتجات حرفية يدوية، يفضل ان تكون من انتاج المجتمع المحلي، لا يوجد مطاعم ذات مستوي للسياح، ولا توجد دورات مياه عامة الا تلك التي بجانب الكافيتريا داخل المتحف وبالتالي مطلوب توفيرها. مطلوب رصف الطرقات والممرات، زيادة المداخل للمنطقة، لا توجد علامات ارشادية وخريطة بالمباني التاريخية ولا يمكن الاستدلال علي مفرادات التراث الحضاري دون سؤال السكان. وتفتقد المنطقة عناصر تنسيق الموقع سواء الخضراء او الأثاث، مطلوب توفير الاضاءة المناسبة، تعاني المنطقة من الضجيج وموقع محطة مترو الانفاق غير مناسبة، تنتشر الروائح الكريهة وكذلك الفضلات، ومطلوب توفير النظافة، أما بشأن السكان فهم ودودين والمنطقة تبعث بالامان، وايضا توفير مواقف للسيارات والاتوبيسات للمنطقة.

ونتيجة الزيارات والبحث الميداني يمكن حصر المشكلات بالأتي:

- الحالة المتردية للمباني سواء الدينية أوالسكنية أو المحلات.
- التلوث بالضجيج: وجود المنطقة بمحاذاه مترو الانفاق.
- المناطق الخضراء: لا تحتوي المنطقة على مساحات خضراء كبيرة، فالبقع الخضراء الوحيدة تتواجد على شكل مستنبتات صغيرة في وسط الأفنية الداخلية للمجموعة. وتحتاج حديقة المدخل الرئيسي (أمام المتحف القبطي) إلي تنسيق.
- مشكلة المياه الجوفية: ثبت أن المياه الجوفية في المنطقة ذات مستوى مرتفع وناتجة من عدم نقص في كفاءة شبكات الصرف الصحي وتسرب المياه المالحة بالاضافة إلي مياه بحيرة عين الصيرة والتي تصرف مياها في نهر النيل.
- مشكلة الفضلات الصلبة: الاهمال وصعوبة وصول عربات جمع القمامة إلى المنطقة، هذا بالإضافة إلى عدم توفر خطة واضحة لإدارة عملية جمع القمامة من أهم مظاهر التسيب بالمنطقة. (يتساءل سكان المنطقه الجنوبيه بالقاهره عن السر في استثنائهم من مشروع النظافه الذي تقوم بادارته شركات اجنبيه. ولديهم شعور كبير بانهم ظلموا خاصه ان المنطقه في حاجه الي رفع كفاءتها من ناحيه النظافه) (نادية يوسف، ٢٠٠٣).

٧-الشراكة في إعادة التأهيل والتوظيف السياحي والتنمية الحضرية بين الفكر النظري والتجربة (الواقع والطموح) لمنطقة القاهرة القبطية

خلق الوضع العمراني التقليدي لمنطقة القاهرة القديمة توازنات حرجة بين الظروف المعيشية والاقتصادية من ناحية والظروف البيئية والموارد الطبيعية والعقائدية المرتبطة بالديانات الثلاثة من ناحية أخرى. فالقاهرة القديمة بداخلها تمثل كياناً فريداً من الظروف والمشاكل والقيود والفرص. وتشكل مناطق القاهرة القديمة ومن ضمنها القاهرة القبطية فرصة نادرة لدراسة العلاقة بين الإنسان والظروف البيئية والرصيد العقائدي من خلال منظومة تاريخية تقليدية. ومع ذلك فإن هذا التوازن الحرج قد

أختل بشدة مع دخول التقنية والضغوط الاقتصادية وأسلوب الحياة المعاصـــرة. وأدى تحول البيوت القديمة إلى محلات وبازارات وتغيير نظم المعيشة من كهرباء وصرف صحي وزيادة الضغط الاقتصادي الموجه للسياحة عموما والدينية بوضع خاص.

ولمواجهة هذه المشكلات كان لابد من اتباع برنامج تطوير من منظور بيئي يعتمـــد على فكر التنمية الحضرية المستدامة المستمد من فكر الحفـــاظ المعمـــاري واعـــادة التوظيف والتنسيق للبيئة التراثية ذات الحساسية الخاصة، ويعتبر التعاون والشـــراكة بين جميع الأطراف المعنية عنصراً رئيسياً في أي فكر أو عمل.

تم وضع عدة دراسات لتطوير المنطقة الأثرية بمصر القديمة، وترميم آثارها المتعددة الإسلامية والقبطية واليهودية واعادة تأهيلها للزيارة والسياحة. وقد تضمنت الدراسات مشروعا لتطوير منطقة القاهرة القبطية والمنطقة المحيطة بها وتشمل المباني الدينية داخل الحصن، الكنيسة المعلقة، المتحف القبطي، حصن بابليون، كنيسة ابوســـرجة، وعذراء اليهود، ودير الراهبات ومنطقة المقابر وايضا سكان المناطق المحيطة إلـــي جانب مسجد عمرو بن العاص، هذا وتضمن المشروع تحويل منطقة الفواخير إلـــي حديقة عامة بعد إزالة ما يقرب من٢٤ ورشة بمنطقة الجيارة، وتهيئة جميع الطـــرق المؤدية لمنطقتي الفسطاط ومصر القديمة مع إعادة رصفها وتجميل العمارات المطلة علي الطريق. ومع التفكير في المساكن والمحلات وتغيير أنشـــطة بعـــض الـــورش الواقعة داخل مصر القديمة لعدم توافق نشاطها والتفكيـــر فـــي الوظيفـــة الســـياحية المستقبلية للبيئة. وقد اشتملت عملية التطوير علي عدة مجهودات لتحقيق الأتي:

- ترميم المباني ذات السمات التاريخية والمعمارية المميزة.
- التأهيل الحضري للشوارع والساحات القديمة، ترميم واجهات المباني الاثريـــة، رصف الشوارع، وتحسين البنية التحتية للشوارع وانارتها.
- تأسيس صندوق طوارئ لاعمال الصيانة المستعجلة من خلال تقـــديم القـــروض الصغيرة والمساعدة الفنية لترميم البيوت الاثرية في المراكز التاريخية.
- انشاء وحدة التأهيل الحضري لادارة وصيانة التراث الثقافي في المنطقة.

١-٧ مشروعات الترميم المباشرة

مشروع المجلس الأعلى للآثار لترميم الكنيسة المعلقة والمتحف القبطي بدأ في بداية عام ١٩٩٨ واستغرق العمل به أربع أعوام، وهوعبارةعن رفع مستوي البيئه، مـــع مراقبة مستمرة للكنيسة المعلقة بالإضافة إلي ترميم الجناح القبلي للمتحـــف القبطـــي وكذلك المعبد اليهودي فهو معبد مهم وجزء من تراث مصر، يشمل المشروع الترميم الكامل وتجفيف المياه الجوفية ومراجعة البنية الأساسية وتغييـــر شـــبكات الصـــرف الصحي بالمنطقة وتزويد أساسات الكنيسة والحصن بمواد خاصة تمنع تسرب الميـــاه الجوفية إلي الجدران مع علاج الشروخ في الجـــدران وترميمهـــا داخـــل الكنيســـة والحصن وتقوية الأساسات طبقا لأحدث النظم العالمية. (سكينة فؤاد، ٢٠٠٠)

وأما بالنسبة للحصن بوضعه الحالي فيبدو غير واضح للرؤية وذلك لعدة اسباب اهمها ان التكوين المعماري للحصن منخفض عن سطح الشارع بحوالي ٨ امتار وكان الحل الامثل للتغلب علي هذه المشكلة هو اقامة ساحة كبيرة امامه تفتح مجالا واسع للرؤية وتكون هذه الساحة علي شكل تدريجي بحيث يمكن استخدامها كمسرح لاقامة العروض الفنية المختلفة. وتم كذلك الاستعانة بهيئة الاستشعار عن البعد وعلوم الفضاء في اعمال مراقبة الكنيسة المعلقة والمتحف القبطي اثناء اعمال تخفيض منسوب المياة الجوفية واثناء اعمال الترميم باستخدام نظم اتوماتيكية ويدوية ومحطة رصد متكاملة ذات حركة ألية ونظام الموازين الرقمية. (سكينة فؤاد، ٢٠٠٠)

وقد تم إثارة انتقادات على مخالفات في أعمال ترميم الكنيسة المعلقة والمنطقة المحيطة بها لمخالفتها للمواصفات التاريخية للبناء المعماري للكنيسة وخاصة أرضية صحن الكنيسة الرخامية والتي تم تغطيتها بالخشب. ومن جهة أخري تعاني أعمدة الكنيسة من ميل. وأن الأقباط حافظوا علي الكنائس طوال الالفين عاما السابقة وان حالتها لم تصل الي هذا الوضع السيء من قبل (سكينة فؤاد، ٢٠٠٠).

٢-٧ مشروعات إعادة التأهيل

مشروع إعادة التأهيل مدعم أساسا من وزارة السياحة[٢] بداية من ١٩٩٩، ولمده سنتين بهدف إحياء مسار العائلة المقدسة، والذي لم يقتصر التعامل في عملية الإعداد والتجهيز وفقا لأرقي القواعد التاريخية وإنما شملت أيضا مراعاة الأبعاد الاجتماعية والبيئية والتناسب الحضاري والتوافق الجمالي. وقد استهدفت عمل مشروعات محدودة تمت فيها إعادة تأهيل بشراكة السكان، وتحويل العمل الأكاديمي إلي واقع تطبيقي، وإتمام العمل بالحد الادني من التأثير سلبيا علي سكان المنطقة. من الأعمال الرئيسية للمشروع: إزالة القمامة، توسيع الشوارع والممرات، حماية النباتات والأشجار الموجودة وإضافة المساحات الخضراء، أعادة الروح للواجهات مع تغيير بعض الاستعمالات الداخلية.

وقد كان السكان متشككين في بداية المشروع، مع الكثير من الاعتراضات والرفض لمحاولات التغيير وإعادة التأهيل. تطلب الأمر الكثير من الدبلوماسية والتقرب حتى يسمحوا بالعمل أن يبدأ، كثيرا من الشكاوى وصلت إلي ١٢ شكوى من سيدة واحدة للعمل والقائمين به إلي كافة الجهات الحكومية المختلفة. وتفاوتت توجهات السكان تجاه المشروع، فمن مجموعة ترغب في تغيير مساكنهم القديمة بدون أي مشكلة في إزالتها، وهناك من يرغب بالمشاركة بنفسه في المشروع، في حين آخرين من ناحية الماديات يرون أن المشروع محدود الميزانية ولا يمكن أن يتحقق في الوقت والميزانية المتاحين. إضافة لمشكلات المتخصصين والخبراء الذين يشككون في

[٢] المشروع بتكليف من وزارة السياحة وبتكلفة ١٥ مليون جنيه مصري بدون دعم من خارجي، وقد تم تكليف فريق عمل تترأسه الدكتورة مني زكريا، التي حاولت تطبيق قدرا من الشراكة والمشاركة الشعبية في المشروعات

المشروع والعمل وكفاءة فريق العمل والنتائج المتوقعة. وأساس العمل كان الاستماع لكل الاحتياجات الفردية ومحاولة الإشراف علي تنفيذه من قبل فريق العمل.

واشتمل المشروع علي العديد من العناصر منها نقل المدابغ وقمائن الطوب وايضا نقل الكسارات والجيارات وحصر المسابك والمحلات المقلقة للراحة والورش التي يصدر منها بعض الملوثات التي تؤثر علي سلامة البيئة لاعداد التصور العام لنقلها خارج الكتلة السكانية، ورصف الشوارع بما فيها شارع الفسطاط، وانارة الشوارع وزرع حدائق وتجهيز المكان بما يليق كمكان يحمل رسالة للعالم كمجمع للاديان والمشروع احتاج لتمويل ضخم ومجهود متواصل وشراكة أطراف، وقرارات مرتبطة بالتوظيف السياحي مما يمكن معها مضاعفة دخل السياحة في المنطقة وايجاد فرص عمل في مناطق تحتاج لتنمية وعمل كثير وينمي المنطقة عمرانيا واقتصاديا.

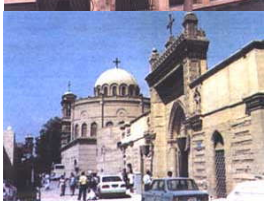

٨- اشكالية الأهالي بين نقل المحلات وتطوير قصر الشمع

من أعقد المشكلات للمشروعات هي تواجد متضررين أو رافضين للتغيير. وعند حصر الاشغالات في هذه المنطقة وجد ان هناك اكثر من ٣٩ محلا وكشكا معظمها مغلق منذ فترة طويلة يعوق تنفيذ الافكار بالصورة التي تخدم المشروعات الثقافية والسياحية بالمنطقة. تصور وزارتي الثقافة والسياحة لتطوير المنطقة بعد ترميمها وجود عددا من المزارات الجديدة منها بوابة عمرو بحصن بابليون وتطوير منطقة كوم غراب لتحويلها من حي عشوائي إلي حي شعبي نموذجي. ورصف المنطقة الممتدة بين الحصن وحي قصر الشمع بكوم غراب. ومعظم هذه المحلات قام بتأجيره موظفو المحافظة ثم باعوها أو اجروها إلي مواطنين من المنطقة. وعلي الرغم من ان الوزارة قامت ببناء محال بديلة في منطقة ابي سيفين بمصر القديمة وعلي بعد ٢٠٠ متر من المحال الموجودة، الا انه لم يتم تسليم هذه المحال بعد ان اكتشفت المحافظة تراكم الايجارات المتأخرة والتي تتراوح بين٤ آلاف و٢٨ الف جنيه. علما بأن إخلاء المحال وهدمها يحتاجان الي قرار سريع وجريء من محافظ القاهرة لوضع اللمسات الأخيرة في مشروع سيعود علي محافظة القاهرة بالكثير من الخير.

وفي الوقت نفسه حتي الاهالي يرفضون هذا الحل ويتمسكون بمحلاتهم القديمة بل ويرفضون وصفها بأنها **'عشوائية يجب إزالتها'**. وحتي اليوم الموقف متجمد بين مسئولي (الاثار، والمحافظة) الذين يعلنون ان المحلات تعوق استكمال مشروع ترميم حصن بابليون والكنيسة المعلقة وبين الاهالي الذين اقاموا دعوي قضائية ضد الاثار يؤكدون فيها ان المحلات البديلة سيئة. وبين الطرفين يظل المشروع بحاجة الى نوعية من التفاهم والشراكة في تناول الواقع، فمدخل نقل الناس وتعويض بمحلات جديدة مع تفريغ البيئة التاريخية من أهلها يتعارض مرة أخري مع توجهات اليونسكو والذي يؤكد علي ضرورة تطوير البيئة بأهلها.

وعلي جانب أخر فهناك أيضا مشكلة أهالي منطقة قصر الشمع والتي تسبب حاليا

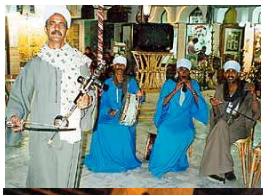
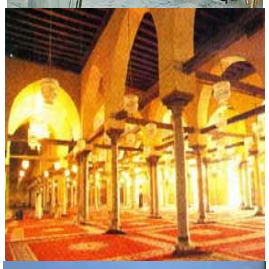

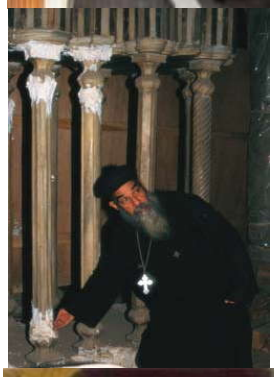

نوع من النقد العام لمشروع الارتقاء. فمنطقة قصر الشمع بمنازلها التقليدية تعتبر استمرار لمدينة القاهرة في العصور الوسطي.تتكون المنطقة من مباني بسيطة يعود تاريخها إلي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وبالرغم من قدمها فهي ليست أثرية إلا أن نظامها العمراني، ينتمي إلي النسيج العمراني العضوي المميز لعمران مدينة القاهرة في العصور الوسطي. ونظرا لقدم المنطقة، فإن مبانيها تعاني من تدهور في واجهاتها كما أنها تعاني من تدهور في بنيتها التحتية بجميع صورها من شبكة صرف صحي وشبكة مياه وكهرباء وتليفونات. وبالرغم من هذا كله إلا أن المباني كانت متماسكة وكان السكان راضين بحالهم. ولما بدأ مشروع التطوير في منطقة قصر الشمع، اعتقد السكان أن جميع مشاكلهم إلي زوال. ولكن المشروع سعي إلي تطوير المنطقة ظاهريا فقط وتجميل واجهاتها. والهدف الرئيسي لهذا المشروع، بالنسبة لوزارة الثقافة هو تجميل امتداد مسار المزارات القبطية. ولكن للمشروع جوانب أخري يصعب إغفالها. فقد زرع شعور التغريب لدي أهالي قصر الشمع مما يعمل علي فقدان رغبة الأهالي في المحافظة علي كل أعمال التطوير.

بعض الأهالي عبر عن حسده للجيران الذين تقع منازلهم بعيدا عن مسار المزارات القبطية. وأن المنازل اجتاحتها الشروخ وأصبحت عرضة للتنكيس. ومن ناحية أخري قام المسئولون بطلاء جانب من أحد المنازل وتركوا الجانب الآخر لأنه مختف عن الأنظار. وتم هدم أحد المنازل لأنه يعوق المنظومة المعمارية. وتحولت مداخل المنازل إلي سراديب لرفع منسوب الطرقات في حين ظل منسوب مداخل المنازل ثابتا. أما أحواض الزرع فقد تحولت إلي مقالب للقمامة.

٩- الشراكة في التنمية الحضرية المستدامة

الفكر الاساسي للمشروعات المرتبطة بالقاهرة القبطية يبدأ بخطوط عريضة عن أهداف تنمية حضرية للبيئة التاريخية الدينية والسكان بمختلف انماطهم مع تزويد الأحياء بالخدمات، وخلق فرص عمل لأبناء الحي سواء في مرحلة التطوير ذاتها أو من خلال تحويل أنشطة ضعيفة العائد إلي أخري مربحة. فالمخزن يتحول إلي محل للعاديات، ومحطات الأتوبيسات والاسواق تتطور، حول المقاهي الشعبية ليصبح لها عبق تاريخي مع التركيز علي المشروبات المصرية. فقضية المشروع ليست وضع مخططات وتصميمات معمارية وانما يتأتي التحدي من كون المشروع محدود الميزانية وممول من الحكومة المصرية بدون أي دعم خارجي.

والهدف من المشروع هو إحداث تطوير وتنمية حقيقية للمنطقة بأكملها، ليس فقط رصف الشوارع ودهانات واجهات المباني ولكن ترميم للبيوت من الداخل وإصلاح المرافق الأساسية لإعادة روح الأصالة للفسطاط القديمة، وبعث الروح بعشرات المساكن القديمة والآيلة للسقوط، لكي يشعر السكان بأهمية منطقتهم التاريخية والمحافظة عليها وزيادة أعداد السياح الزائرين. وقد واجه المشروع أعتراضات

ومقاومة في مراحل واستجابة في بعض المراحل وفقا لمدي الاستفادة والضرر للأفراد، هذا بالأضافة لتأثير المستوي الاجتماعي ودرجة التعليم والسن ونوعية الجنس من ذكور واناث علي تفهم واستيعاب النظرة الشاملة والرؤية المستقبلية للمشروع كفرد ومجتمع ومنطقة. ولكن شراكة المجتمع المحلي كانت حجر الزاوية في نسبة النجاح التي تحققت رغم أن المجتمع غير معتاد علي التعاون. وقد شارك أكثر من ألف شخص من الأهالي في مشروعات الارتقاء وأن تفاوتت نسب المشاركة من المشاركة بالرأي، للمشاركة بالمجهود، للمشاركة في وضع وتطبيق الافكار، للمشاركة في تحمل بعض الاعباء المادية كلا حسب حماسه وقدراته. وقد قام بعض ملاك المحال بتغيير نشاطهم بما يتناسب مع النشاط السياحي.

وما ينقص كل الافكار والمشروعات درجة الشراكة التي تحترم فيها كل طرف مشارك. فحتي يمكن تطبيق قدر من الشراكة بالمنطقة كان لابد من تكوين لجنة من مجموعة استشاريين متخصصين في الترميم والمحافظة على المباني القديمة بالإضافة إلى كوادر فنية وإدارية وقانونية، لاعمال الدراسات، المساحة، الإشراف الهندسي، المحاسبة، الشئون القانونية، البحث الإجتماعي مع التنسيق بين محافظة القاهرة ووزارات الثقافة، والاسكان والمجتمعات العمرانية الجديدة والسياحة، والتعاون الدولي حيث تم في بعض الاعمال تمويل محدود من الهيئات الدولية[1]. وجعل أهالي المنطقة شريك أساسي، وليس مهمشا في أغلب خطوات المشروع (The World Bank, 2000). و تكون الشراكة في إطار اللجنة لتحقيق الأتي:

- آلية تعتمد على مشاركة المجتمع والأطراف في تحديد أولويات العمل.
- أداة للتخطيط تجمع بين آراء المنتفعين والتنفيذيين والخبراء.
- وسيلة لتحديد الممارسات الجيدة في التخطيط.
- آلية للتخاطب لزيادة الوعي ومجالا للتخاطب بين الأطراف.
- نقطة للانطلاق نحو تكامل الاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية.
- محفل لمناقشة السياسات في إطار هيكل قادرا على تحقيق التغيير.

١٠- التوازن بين السياحة والتنمية الحضرية المستدامة

يلعب تطور الخدمات الاجتماعية دوراً حيوياً في دعم المجتمع المحلي ويتم ذلك في إطار التنسيق المباشر مع السكان. فتتبرمج الأولويات مع ما هو متوفر فعليا والاحتياجات الحقيقة للسكان وذلك ضمن اجتماعات مشتركة مع السكان.

وتملك منطقة القاهرة القبطية مقومات متكاملة لقيام صناعة سياحية واسعة يمكن ان تدر دخلا متزايدا اذا توفرت العوامل المساعدة على ذلك، ولكنها في الوقت ذاته قد تجلب آثاراً سلبية على البيئة الدينية والأجتماعية. فالدراسات التي أجريت في العقدين الماضيين أثبتت ان تكلفة البنية الأساسية الضرورية والامدادات الضرورية للسياحة الدولية كانت عالية جدا وان كشوف الميزانية في انحاء العالم كثيراً ما كانت تبين انه

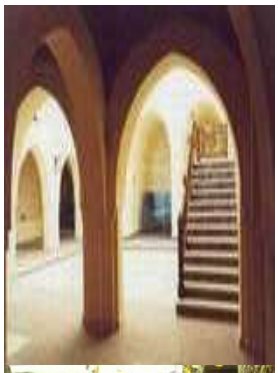
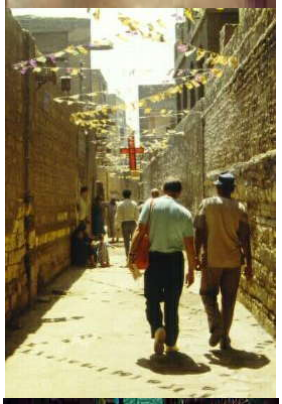

يجب ان تنقضي سنوات كثيرة قبل الحصول على اولى المكاسب الحقيقية من النقد الأجنبي من الانشطة المتصلة بالسياحة. يعتمد اثر النشاط السياحي على البيئة على نوع النشاط السياحي من جهة وعلى خصائص النظام البيئي من جهة ثانية. هذا وقد تنبه العالم الى الآثار السلبية التي تتركها السياحة على البيئة عندما تم التأكيد من خلال اعلان مانيلا "١٩٨٠" الذي نص على أنه لا ينبغي تلبية احتياجات السياحة بطريقة تلحق الضرر بالمصالح الإجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق السياحية أو بالبيئة أو بالموارد الطبيعية والمواقع التاريخية. وتعتبر السياحة صناعة يسيطر عليها القطاع الخاص يغلب على طابعها البعد المادي الربحي، ونظرا لأن صناعة السياحة لها أبعاد وأوجه متعددة فإنه من الصعب إدارتها وتنظيمها.

ولأن منطقة القاهرة القبطية في الأصل مجال للزيارات والتعبد لطوائف دينية وتعتمد أساسا علي نوعية السياحة الداخلية، فأنه من الخطر أن يكون التوجه نحو تنمية البيئة علي أساس جعلها مزار لنوعية السياحة الدولية علي حساب قدسية المكان. وفي الوقت نفسه لابد أن تكون كل مشروعات التنمية الحضرية والتطوير بالأساس لأهالي هذه البيئة في المقام الأول وتأتي بعدها التفكير التسويقي للمكان. حيث أن أي مشروعات تهمل المواطن وشراكته سيكون مصيرها عدم تحقيق الرؤية الشاملة المستقبلية للمكان. ولابد لخطط المستقبل السياحية ان تركز على المفاهيم التالية :

١ ــ نشر المعرفة والثقافة السياحية للأهالي وللسائحين.

٢ ــ تعميق المعرفة بأهمية السياحة وآثارها الايجابية على مجمل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياحية والحضارية لأهل المنطقة.

٣ ــ ضرورة الحفاظ على القيم الدينية والأثرية بدون استنزاف لمشاعر الأهالي.

٤ ــ التركيز على اهمية التراث والمكان والهوية الثقافية .

٥ ــ تعريف المواطن بأمكانيات الاستفادة من السياحة اقتصاديا بدون استغلال.

٦ ــ تنشيط حركة السياحة الداخلية .

١١- الدروس المستفادة من الورقة البحثية

١- **التوعية والإرشاد والبحث الاجتماعي:** بداية لا يكون الإحياء والارتقاء وتهيئة المكان للسياحة الدينية بترميم المباني الدينية والمساكن القديمة والحفاظ عليها فقط وإنما يتطلب ذلك الاهتمام أيضاً بالإنسان المقيم داخلها ويكون ذلك بتوفير البنية الأساسية من مرافق وخدمات عامة وحدائق داخل المنطقة وتحديث القائم منها، بحيث لا يكون السعي نحو السياحة بأي وضع علي حساب السكان الأصليين وتكون التنمية المجتمعية والتعامل مع المشاكل الاجتماعية من خلال التوعية والإرشاد، والقيام بالبحوث الاجتماعية لكافة الأمور المتعلقة بالسكان المقيمين والعمالة الوافدة عليها وطبيعة السياحة المتوقعة ونوعية السائحين وكيفية التعامل معهم.

٢- **صيانة المباني المرممة:** مر علي إتمام ترميم النماذج الأولي ما يقارب الثلاث

سنوات، وبدأت متطلبات الصيانة لأعمال الترميم المنجزة، وبدأت تطفوا على السطح بعض المشاكل في المباني المرممة والناتجة إما عن سوء الاستخدام أو الرطوبة الداخلية، مما يتطلب العمل على وضع خطة لصيانة المباني المرممة وتوفير الميزانية والعمالة لها.

٣- توثيق المنطقة والمباني قبل ترميمها: من المهم للمنطقة والمباني بمستوييها ذات الصفة الدينية والسكنية، القيام بأعمال رفع مساحي وإعداد مخططات حالة المباني قبل الترميم وتصويرها فوتوغرافياً وبالفيديو لتكون المعلومات في متناول الباحثين والمرممين بعد أجيال ومعرفة التدخلات التي أجريت ومواقعها.

٤- مقومات إنجاح عملية المشاركة: لكي تنجح عملية الشراكة فلابد وأن يسبقها ويلازمها الحوار ولابد أن يؤخذ في الأعتبار الأتي:

- من الذي بادر بالدعوة إلى الشراكة.
- ضرورة شعور الأطراف المعنية بأهمية الشراكة بالنسبة لها.
- إتاحة الوقت والموارد الكافية للتخطيط وإيجاد المعلومات الصحيحة.
- وجود آلية واضحة وتفصيلية للشراكة.
- وجود قاعدة مؤسسية للمتابعة والتنفيذ.
- توافر الموارد اللازمة للتنفيذ.
- تشريعات تقنن وتنظم أسلوب المشاركة ومهام الشركاء.

٥- الدروس المستفادة من عملية الشراكة في التنمية الحضرية: الشراكة في تنمية البيئات التاريخية يجب أن تكون جزأ لا يتجزأ من عملية اتخاذ القرار، وتكون هذه المشاركة وسيلة هامة للاستفادة من كافة الطاقات والمهارات.

- يجب دراسة العقبات السياسية والمؤسسية التي قد تعترض مشاركة المواطنين.
- يجب توفير المعلومات المبسطة الواضحة مع الطرح الوافي للبدائل المطروحة.
- يجب توفير الآلية المناسبة للتعبير عن وجهات النظر البديلة.
- يجب القيام ببناء قدرات المواطنين للمشاركة الفعالة.
- تدريب الأفراد على إدراك معايير ومتطلبات تمويل المشروعات بالمشاركة.
- مراعاة متطلبات الاستدامة في الأنشطة.

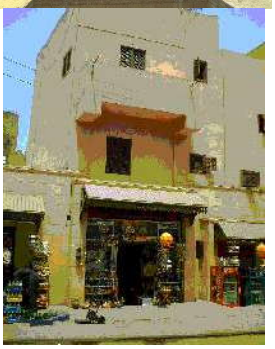

المراجع:

ابراهيم غانم، "**التنمية السياحية في مصر (المقومات والمعوقات)**"، جامعة طنطا، فبراير، ٢٠٠٠.

إسماعيل سراج الدين، "**إحياء المدن التاريخية**"، ترجمة رانيا الحداد، الناشر مكتبة الإسكندرية، الاسكندرية، (٢٠٠٣)، ص ١-١٨.

البنك الدولي، "**استراتيجية بيئية لتحقيق التنمية القابلة للإستمرار في منظمة الشرق الاوسط وشمال إفريقيا**"، تقرير إدارة منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا، واشنطن،(١٩٩٨)، ص٥.

برنامج الامم المتحدة الانمائية، "**التنمية البشرية: مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون**" ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (١٩٨٠)، ص ٨١.

برنامج الامم المتحدة الانمائية، "**تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣**"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة اكسفورد، (١٩٩٣)، ص ٣.

سكينه فؤاد، "**مع الايام: المسار.. درس وتصحيح**"، الكتاب، جريدة الاهرام، العدد ٤١٤٥٠، السنة ١٢٤، (١ يونيو ٢٠٠٠).

عبد الباقي إبراهيم، "**قضايا و اراء**"، جريد الأهرام، العدد ٤٠٦٦٣، السنة ١٢٣، (٢٣ أكتوبر ١٩٩٨).

نادية يوسف، "**ظروف خاصه في المنطقه الجنوبيه**"، الأهرام، العدد ٤٢٥٥٨، السنة ١٢٧، (١٤ يونيو ٢٠٠٣).

Adsetts, N. '**Partnership leads to city's rebirth**' in Development Review, V.1, N.10, (1989), p.7-8.

Gabra, G., "**Cairo (The Coptic Museum and Old Churches)**", the Egyptian International Publishing Company, (1993), ISBN 977-16-0081-8.

Otto, F., "**2000 Years of Coptic Christianity Meinardus**", The American University in Cairo Press, (1999),

Ryan, C., Page, S., "**Tourism Management: Towards the New Millennium**", part of the Advances in Tourism Research Series, Pergamon, published in (2000).

The World Bank, "**Cities in transition**", The International Bank for Reconstruction and Development, Washington, USA, September (2000).